الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿عِضِينَ﴾ جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقالوا عنه: سحر، شعر، كهانة، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم له، روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: (هم أهلُ الكتاب، جزّءوه أجزاءً، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه) ﴿فَاصْدَعْ﴾ اجهر بتبليغ رسالة ربك ولا تبالِ بهم ﴿كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ رؤساء الكفر والضلالة وهم خمسة، كانوا إذا مرّ بهم الرسول غمزوه واستهزءوا منه وقالوا: هذا الذي سيملك ملك كسرى وقيصر!! وقد أهلكهم الله جميعاً ودمّرهم، ونصر نبيّه ﷺ.

* * *

سورة النحل

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ على رسله ﴿بِالرُّوحِ﴾ بالوحي الإلهي، سمّي الوحي روحاً، لأنه حياة للقلوب، تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدان ﴿خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ كثير الخصومة لربه، يكابر ويعاند وينكر البعث ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأصواف والأشعار والأوبار ﴿تُرِيحُونَ﴾ ترْجعون الأنعام من المرعى للراحة ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تطلقونها في الصباح للمرعى وضح تعالى أنه خلق الأنعام للناس (الإبل، والبقر، والغنم) لهم ما يستدفئون به من البرد، من الأكسية، والأصواف، والأوبار، التي يصنعون منها البُسُط والجباءات، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ولهم فيها متعةٌ وبهجة، حين ترجع عشياً من المرعى، وحين تذهب صباحاً للرعى، وكلُّ هذا من فضل الله على البشر ليشكروه على نعمه الجليلة!!

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أمتعتكم الثقيلة ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ لا تصلون إلّا بجهدٍ ومشقة ﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ على الله بيانُ الطريق المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ ومن هذه الطُّرق والأديان، ما يُبعد الإنسان عن ربه، لأنها طريق مائلة عن الحق، كالمجوسية واليهودية، والبوذية ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون منه أنعامكم ومواشيكم ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ يُخرج لكم بذلك الماء أنواع الزروع والأشجار ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ومن كل الفواكه والثمار، يخرج لكم أطايب المأكولات ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلّل لكم الليل والنهار، يتعاقبان لمصالحكم ومنافعكم ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ وما خلق لكم ربكم في الأرض، من أنواع النباتات والمعادن، والثمار المختلفة الأشكال والألوان ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ السمك بأنواعه ﴿حِلْيَةً﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تشقُّ عُباب البحر، تحمل الأثقال والرجال، ذاهبةً عائدة، والماء بطبيعته سائل مائع، فكيف حمل هذه البواخر الكبيرة، التي هي كالجبال مع ما فيها من أثقال، ولم ترسب إلى قراره؟ فلولا تسخيرُه تعالى، لطغى البحرُ فأهلكَ الحرثَ والنسل، وقضى على الأخضر واليابس، ولولا تذليلُه لما أمكن الركوب فوق سطح البحر، فلهذا ختم الآية بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كما قال في سورة الزخرف: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ أي مطيقين.

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ
قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالاً شوامخ ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لئلا تضطرب بكم الأرض وتتحرك ﴿وَسُبُلًا﴾ جعل فيها طرقاً تسلكونها في أسفاركم ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تضبطوا عددها ولا تطيقوا حصرها ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ الأصنام التي تعبدونها جمادات لا حياة فيها، فكيف تعبدونها وهي لا تُحسُّ ولا تسمع؟ أنتم أفضل منها لأن فيكم حياة ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحدة لوحدانية الله ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء مما يخفونه أو يعلنونه ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قال السفهاء عن القرآن: إنه خرافات وأباطيل الأمم السابقين ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم وذنوبهم مع ذنوب الذين اتبعوهم ﴿سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس ما يحمله هؤلاء الأشقياء ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مكر المجرمون بأنبيائهم ورسلهم، من قبل كفار مكة، وأرادوا إطفاء نور الله، فأهلكهم الله ودمّرهم، وجاءهم عذابُ الله، من حيث لا يخطر على بال ﴿بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ تمثيلٌ لتدمير ما أبرموه، بصورة بنيانٍ انهدم على رؤوس أهله، شبّه تعالى كيدهم، بجماعةٍ بنوا بناءً قويّ الدعائم والأركان، فدمّر الله بنيانهم من أساسه، ووقع عليهم السقف، فبادوا وهلكوا تحته، وإنه لتمثيلٌ بادي الروعة لتصوير ما دبّروه من كيدٍ ومكرٍ، ولهذا قال: ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جاءهم الهلاك والدمار من حيث لا يدرون ولا يعرفون.!

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوًى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

﴿يُخْزِيهِمْ﴾ يذلُّهم ويهينهم بالعذاب ﴿تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أين آلهتكم الذين كنتم تخاصمون وتعادون الأنبياء من أجلهم؟ أحضروهم ليشفعوا لكم ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ استسلموا وانقادوا عند رؤيتهم ملائكة العذاب، بعد أن كانوا في المكابرة والعناد ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ يقولون: يا ربَّنا ما أشركنا ولا عصينا!! يظنون أن الكذب ينفعهم ﴿مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ادخلوا نار جهنم فبئست جهنم مقراً ومسكناً للمتكبرين ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ جنات إقامة للمؤمنين الأبرار ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾ لهم فيها من كل ما يشتهون دون انقطاع ﴿طَيِّبِينَ﴾ كانت نفوسهم طيبة، ولذلك أكرمهم الله بدخول جنة النعيم، لأنهم تطهَّروا من دنس الشرك والمعاصي، ولْيَسْرَحْ خيالك فيما يشاءون ويشتهون!! ممَّا يتصوَّره الإنسان وممَّا لا يتصوَّره!! فلا يشتهون شيئاً إلَّا أعطاهم الله إيَّاه، ولا يخطر على بالهم شيء، إلَّا حقَّق الله لهم ذلك، فضلاً منه وكرماً، وقد جاء في الحديث، أن أعرابياً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل في الجنة خيلٌ؟ فقال له ﷺ: «**إنْ أدخلك الله الجنَّةَ، أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتةٍ حمراءَ، له جناحان، فحُملتَ عليه، ثم طارَ بك في الجنة حيثُ شئتَ**» رواه الترمذي. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر الأشقياء إلا أن تنزل عليهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه العاجل، بإهلاكهم وإفنائهم، عن بكْرَة أبيهم، بعذاب الاستئصال.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ
كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿أَشْرَكُوا﴾ كفّارُ قريش ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لو شاء الله ما عبدنا الأصنام، لا نحن ولا آباؤنا السابقون ﴿وَلَا حَرَّمْنَا﴾ ولا حرمنا البحائر والسوائب ونحوهما، وغرضُهم أن إشراكهم، واقعٌ بمشيئة الله، وأن الله راضٍ بذلك ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ كذلك فعل من قبلهم من المجرمين، وهو مردود عليهم، لأنهم فعلوا ذلك بمحض اختيارهم ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أخلصوا العبادة لله وحده ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ اتركوا كلّ معبود من وثن، وشيطان، وكاهن ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مبالغين في تغليظ اليمين بأكد الألفاظ ﴿مَن يَمُوتُ﴾ أقسموا أن الله لا يقدر على إحياء الأموات ﴿بَلَىٰ﴾ ليبعثنّهم ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وَعَد الله بذلك وعداً قاطعاً ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لنسكننهم داراً حسنة خيراً مما فقده المهاجرون ﴿صَبَرُوا۟﴾ على فراق الأهل والوطن. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ اعتمدوا على الله وحده، يبتغون أجره ومثوبته.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ..﴾ غرضُهم أن إشراكهم واقعٌ برضى الله عزّ وجل، فلا مسؤولية عليهم، ولو شاء الله لَمَنَعهم!! وهذا باطلٌ يدركه كلُّ ذي عقلٍ ودين، فإنهم فعلوا ما فعلوه، بمحض إرادتهم واختيارهم، وزبدةُ القول: أن الاحتجاج بالقضاء والقدر حجةٌ باطلة، فإن أحدهم لو ظَلَمَهُ أحدٌ، أو أراد قتلَه، أو سلبَ مالَه، لا يقفُ مكتوف اليدين، بل يقاومه ويقاتله، ولو احتجّ عليه المعتدي وقال له: أنا أفعل ذلك تنفيذاً لقضاء الله وقدره، لسخر منه واستهزأ، فظهر أنها قولةٌ باطلة، لا تستند على منطق سليم.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ اسألوا العلماء من أهل الكتاب، يخبرونكم بذلك ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الكتب الإلهية ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن العظيم ﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ هل أمن الكفار الذين مكروا برسول الله ﷺ واحتالوا على قتله في دار الندوة ﴿يَخْسِفَ اللَّهُ﴾ يخسف بهم الأرض كما خسفها بقارون ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ أو يهلكهم في أسفارهم وهم مشغولون بالتجارة ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أو يهلكهم على تنقُّص، شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ تميل ظلالها من جانب إلى جانب، منقادة لحكم الله ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ذليلون خاضعون ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خافوني ولا تخافوا غيري ﴿وَاصِبًا﴾ وله سبحانه الطاعة والانقياد ثابتاً دائماً ﴿تَجْأَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ﴿كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ﴾ صرف عنكم الأذى والبلاء، ونجّاكم من المحنة ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ رجع فريق منكم إلى الكفر والإشراك بالله، فهم عند الشدة يلجأون إلى الله، وعند تفريج الكربة يجحدون ويكفرون بنعَم الله.

الجزء ١٤ الحزب ٢٨ صفحة

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾: نبّهت الآية على أن كلّ ما في الكون من (إنسانٍ، وحيوان، وأفلاك، وجبال، وبحار، وأنهار) كلُّها خاضعة لعظمة الله وجلاله، وهي منقادة لأمره، وكلُّها في مقام خشوع وخضوع، لا يستكبرون عن طاعة الله وإرادته، بما فيهم الملائكة الأطهار، لا يخرج منها شيء عن إرادته ومشيئته، عدا الإنسان الكافر، المتمرّد على طاعة الله!! والمراد بالسجود هنا: الانقيادُ والخضوع، قال الشوكاني: أي لله وحده يخضع وينقاد، جميعُ ما في السموات والأرض، وكلُّ دابة تدب على وجه الأرض، ودخل في ذلك جميع المخلوقات والأشياء.

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ تمتعوا بدار الفناء فسوف تعلمون عاقبة أمركم، أمرٌ للوعيد والتهديد ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يجعلون للأصنام نصيباً من الزرع والأنعام ﴿تَفْتَرُونَ﴾ تكذبون على الله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ ينسبون إليه تعالى البنات فيقولون: الملائكةُ بناتُ الله، وهم يكرهون البنات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ أُخبر بولادة بنتٍ ﴿مُسْوَدًّا﴾ اسودَّ وجهه من سوء البشارة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوءٌ غيظاً وغمًّا ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي من قومه خوفاً من العار، كأن الأنثى نقمة وبليّة ﴿عَلَى هُونٍ﴾ أيمسك الأنثى على ذُلٍّ وهوان؟ ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أم يدفنها في التراب وهي حيّة؟ ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ للكفار الفجار صفةُ السوء القبيحة من الجهل والكفر ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ صفةُ الجلال والكمال ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿لَهُمُ النَّارَ﴾ نار جهنم على كفرهم ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ معجَّلٌ بهم لنار الجحيم.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ هذه إحدى سفاهات المشركين، وهي أنهم قالوا: إنّ الله تزوّج من الجنّ، فولدتْ له الملائكةَ، فقالوا: الملائكةُ بناتُ الله، والعجيبُ أنهم يحبُّون الذكورَ، ويكرهون الإناث، فكيف يجعلون لله ما يكرهونه؟ أليس هذا منتهى السفه والجهل؟ وكيف عرفوا أن الملائكة بنات؟ ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ ؟ ولقد وصل ببعض العرب السَّفهُ إلى أن يدفن البنتَ حيَّةً في التراب، ليتخلّص من شؤمها وعارها، فكيف ينسبون البنات إلى الله؟ تعالى اللهُ عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيراً.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۗ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى
رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أحيا بالمطر الأرض بعد جَدْبها ويُبْسها ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة وتذكرة لمن يسمع ويعقل ﴿فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ من بين القذر الذي في بطون الأنعام، والدم الذي يجري في عروقها ﴿لَبَنًا خَالِصًا﴾ حليباً صافياً، لا يغصّ شاربُه، فكيف لم يختلط هذا اللبنُ بما جاوره من الأرواث والدماء؟ ﴿سَكَرًا﴾ الخمر الذي يُسكر الإنسان ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والدِّبس والزبيب ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ ألهم النحل إلى مصالحها، وعرّفها كيف تمتصُّ رحيق الأزهار وتُخرج العسل الذي فيه الشفاء ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ مما يبنيه الناسُ لها من الخلايا والأكوار ﴿ذُلُلًا﴾ اسلكي الطرق مذلَّلةً مسهَّلة، لا تضلّين ولا تخطئين الطريق في الذهاب والإياب ﴿وَحَفَدَةً﴾ هم الأولاد: من البنين والبنات، سُمُّوا حَفَدة لأنهم يسارعون في الخدمة والطاعة لأجدادهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أبعدَ هذه النعم الجليلة، يؤمنون بالأوثان ويكفرون بالرحمن؟ وهو استفهام إنكاري للتوبيخ والتسفيه.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ هذا وحيُ فطرةٍ وإلهام، يعني أنه سبحانه أرشدها بالفطرة، إلى طريقة صُنع العسل، ومنْ نَظر إلى غرائب أحوال النحل، ورأى طُرُق صنع العسل، تأخذه الدهشة لهذه العجائب الغريبة، إذ كيف نظَّمتْ هذه البيوت؟ وكيف رتَّبتْ العمل فيها؟ هذه طائفة لبناء الخلايا، وأخرى للتهوية، وثالثة لامتصاص رحيق الأزهار، وهناك حرسٌ، وجندٌ للحماية والدفاع، وجندٌ مكلَّفون لغذاء المَلِكة (ملكة النحل) وكأننا في (نُكْتة عسكرية) كل جنديّ فيها له عملٌ مخصوص، فسبحان من فطرها وهي حشراتٌ، على هذا العمل الجليل!!

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۖ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ۙ وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

﴿لَا يَمْلِكُ﴾ يعبدون الأوثان وهي عاجزة عن رزق أحد، لأنها لا تنفع ولا تضر ﴿الْأَمْثَالَ﴾ لا تشبّهوا الله بخلقه، فهو سبحانه لا مثيل له ولا نظير ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ مثلاً أول ضربه الله للإله الحق المعبود، وللصنم العاجز، وخلاصته هل يتساوى العبد المملوك، مع السيد الحرّ المالك، الذي يتصرف في ملكه كما يشاء؟ فكيف تسوّون بين الخالق والأصنام؟ ﴿مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ وهذا مثلٌ آخر أوضحُ وأظهر، شبّه تعالى الصنم الذي يعبدونه، برجلٍ أخرس، لا يعقل ولا ينطق، أينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة، هل يتساوى مع الرجل العاقل الفصيح البليغ؟ فكما لا يتساويان كذلك لا يتساوى الربُّ العظيم الجليل، مع الصنم العاجز الحقير!! ﴿كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ عالة وثقيل على سيده ﴿كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كخطفة بالبصر تشبه طرفة العين، وهو وصفٌ لها بسرعة المجيء.

تنبيه: ضرب الله تعالى مثلين بديعين، للتفريق بين الإله الحق، والإله المختلق:

المثل الأول: شبّه فيه عَبَدة الأوثان من المشركين، بمن سوّى بين العبد المملوك العاجز، وبين السيّد المالك القادر، فالله هو السيدُ المالكُ لكل شيء، ينفقُ على عباده كيف شاء، والأوثانُ عاجزةٌ ضعيفةٌ لا تقدر على شيء، فكيف يسوُّونها مع الله؟ وكيف يعبدونها من دون الله؟

المثل الثاني: شبّه الأصنام التي يعبدونها، برجل أخرس أبكم، لا يتكلم ولا ينطق بخير، ولا يقدر على فعل شيء بالكلية، أينما أرسلته لا يأتيك بخير، لأنه أخرسُ بليدُ الذهن، هل يتساوى مع الرجل الفصيح البليغ، المتكلّم بأفصح لسان، وأبدع بيان؟ وهو تمثيلٌ في منتهى الجمال والإبداع!!

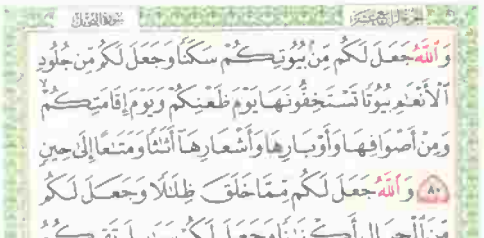
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟
إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿سَكَنًا﴾ بيوتاً تسكنونها في أوطانكم ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ يخفّ عليكم حملها ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ يوم سفركم وهي الخيام ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في أوطانكم، فهي خفيفة الحمل في السفر والحضر ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ صوف الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ وبر الجمل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ شعر الماعز، منها ما تلبسونه، ومنها ما تستعملونه لفرش المنازل كالبسط والسجاد ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تستمتعون به إلى وقت انتهاء آجالكم ﴿ظِلَٰلًا﴾ تقيكم حرّ الشمس ﴿أَكْنَٰنًا﴾ مغارات وكهوفاً تسكنون فيها ﴿سَرَٰبِيلَ﴾ قمصاناً وثياباً من الصوف والقطن، تدفع عنكم ضرر الحر ﴿تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ ودروعاً تلبسونها في الحرب تشبه الثياب، تتقون بها شرّ الأعداء.

تنبيه: ذكّرهم تعالى بنعمة الظّلال، لأن بلاد العرب شديدة الحرّ، وحاجتهم إلى الظلّ لا تقلّ عن حاجتهم إلى المشرب والمطعم، وبوجه خاص للعرب الرُّحّل ﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم إرضاء ربهم جلّ وعلا ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا يُمهلون طرفة عين، بل يأخذهم العذاب سريعاً، ويُدحرجون في جهنم جميعاً ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ يقولون: كذبتم ما نحن أمرناكم بعبادتنا!! ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ استسلموا وانقادوا لحكم الجبّار، وقد كانوا في الدنيا في عناد واستكبار. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ بطل ما كانوا يؤمّلونه من شفاعة الشفعاء.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿وَصَدُّوا﴾ منعوا الناس عن الدخول في الإسلام ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾ زدناهم عذاباً لأجل الإضلال، فوق العذاب الذي استحقوه بالكفر

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم﴾ هو نبيُّهم الذي يشهد عليهم بما اقترفوه من إجرام ﴿تِبْيَٰنًا﴾ بياناً واضحاً شافياً لكل ما يحتاجون إليه من أمور الدين ﴿بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ يأمر بمكارم الأخلاق، بالعدل بين الناس، والإحسان إلى جميع الخلق ﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾ وينهى عن كل قبيح من قولٍ وعمل، والفحشاء: الذنوبُ المفرطةُ في القبح، كالزنى، والربا، ونعرّي النساء ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾ التطاول والتجبُّر على الناس ﴿أَنكَٰثًا﴾ انقاضاً، شبَّه نقض العهد بامرأةٍ حمقاء تغزل طول يومها، ثم تنقض ما غزلته آخر النهار، ولا فائدة تجنيها إلّا التعب والعناء ﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ خديعةً ومكراً ﴿أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أكثر وأعزّ وأوفر، قال مجاهد: كانوا في الجاهلية يحالفون حلفاءهم، ثم يجدون جماعة أكثرَ منهم وأعزّ، فينقضون حِلْفَ هؤلاء، ويحالفون أولئك، فحذّرهم الله من هذه الخيانة والخداع.

وقال ابن كثير: هذا مَثَلٌ ضربه الله، لمن كان على الاستقامة فحاد عنها، وزلّ عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحانثة، لأن الكافر إذا رأى المؤمن قد عاهده، ثم غدر به، لا يبقى له وثوقٌ بالدين، فيصدُّ بسببه عن الدخول في الإسلام ﴿يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دين واحد، لا تختلفون ولا تتنازعون، ولكنْ اقتضت حكمته أن يتركهم لاختيارهم، ناسٌ للسعادة، وناسٌ للشقاوة ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ لا تتخذوا أيمانكم خديعة ومكراً تخدعون بها الناس ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ﴾ فتنحرفوا عن محجة الإسلام الواضحة، وهذا مَثَلٌ لمن كان على الاستقامة فحاد عنها ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ تنالوا العذاب بسبب نقضكم للعهد، وإساءتكم لدين الله، فإن الكافر إذا رأى المسلم قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له ثقة في الدين فلا يدخل فيه ﴿يَنفَدُ﴾ ما تجمعونه من مال، فإنه فانٍ زائل ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ وما قدمتموه لآخرتكم باقٍ دائم، لا انقطاع له ولا نفاد ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ تحييه الحياة الكريمة في الدنيا، بالرزق الحلال والتوفيق لصالح الأعمال ﴿سُلْطَٰنٌ﴾ ليس للشيطان تسلُّط وولاية عليه ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾ إنما تسلُّطه على الذين يتخذونه ولياً مطاعاً ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ تكذب على الله ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام، الذي ينزل بالوحي على الرسل الكرام، **قال ابن عباس**: كانت إذا نزلت آيةٌ فيها شدة، ثم نُسخت بما هو أيسرُ، **قال** كفار مكة: إن محمداً يسخر من قومه، يأمرهم اليوم بأمر، ثم ينهاهم عنه غداً، والله ما يقول ذلك إلّا من تلقاء نفسه، فنزلت الآية. ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ﴾ ردًّا على أولئك السفهاء ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ليثبّت المؤمنين على الإيمان، فيزدادوا إيماناً ويقيناً ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ هدايةً لمن صدّق بآيات الله، وأسلم وجهه لله، إنّ مَثَلَ آياتِ القرآن، كمثل الدواء والعلاج، يُعطى للمريض منه جرعاتٌ، حتى يتماثل للشفاء، ثم يُستبدل بما يُصلحه من أنواع الأغذية والأدوية، كذلك الأحكام الشرعية، تتبدّل حسب المصالح البشرية.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي
الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا
وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ قال المشركون: تعلّم محمد هذا القرآن من غلام نصراني "جبر الرومي" ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ لغة الذي ينسبون إليه أعجمية، وهذا القرآن العظيم، عربي فصيح، ذو فصاحة وبيان، فكيف يمكن لأعجمي أن يعلّم محمداً كتاباً معجزاً ذا فصاحة وبيان، وهو لا يعرف كلام العرب؟ ﴿يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ لا يكذب على الله، إلا الكافر الذي لا يؤمن بالله، والكذب جريمة فاحشة. لا يمكن أن تصدر من رسول ﴿مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ إلا من تلفظ بكلمة الكفر مكرهاً، وقلبه مملوءٌ إيماناً ويقيناً ﴿شَرَحَ بِالْكُفْرِ﴾ طابت نفسه بالكفر، وانشرح صدره له ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ حلّ عليه غضبُ الله وسخطه ﴿اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ آثروا واختاروا الدنيا على الآخرة ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً هؤلاء هم الخاسرون. (نزلت في "عمار بن ياسر" عذّبه المشركون حتى أعطاهم ما أرادوا مكرهاً، بلسانه دون قلبه، وجاء إلى الرسول ﷺ وهو يبكي، فقال له ﷺ: كيف تجد قلبك؟ قال: يا رسول الله أجده مطمئناً بالإيمان!! قال: فإن عادوا فعُدْ) رواه الطبري.

سبب النزول: رُوي أن النبيّ ﷺ، كان يجلس عند المروة إلى غلام نصراني، يُقال له: (جبْرٌ) وكان جبر أعجميّ اللسان، لا يعرف اللغة العربية، وكان المشركون يرون الرسول يدخل عليه، فقالوا: والله ما يتعلّم محمد هذا القرآن، إلّا من عند (جبر الرومي) فأنزل الله قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ..﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

الجزء ١٤ الربع الحزب ٢٨

﴿تُجَٰدِلُ﴾ تخاصم وتحاجُّ عن نفسها سعياً في خلاصها من العذاب ﴿وَتُوَفَّىٰ﴾ تُعطى جزاء عملها ﴿ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ كان أهلها في أمن واستقرار، وسعادة ورفاهية ﴿رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ تأتيها الخيرات والأرزاق واسعة هنيئة ﴿فَكَفَرَتْ﴾ جحدت نعم الله عليها وكذبت رسله ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ سلبهم الله نعمة الأمن والاطمئنان، وأذاقهم آلام الخوف والحرمان!! مثلٌ ضربه الله لأهل مكة، كانوا في أمنٍ واستقرار، وقد أنعم الله عليهم بأعظم نعمة «بعثة سيد المرسلين» فكفروا به فعذّبهم الله بالقحط والجوع سبع سنين، حتى أكلوا الجيف والميتة ﴿جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ محمد ﷺ خاتم المرسلين ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ ذُكر اسم غير الله عند ذبحه ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ ألجأته الحاجة والضرورة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير طالب أكل المحرّم ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ولا متجاوز ما يسدُّ الرَّمق ﴿هَادُوا۟﴾ اليهود، حرّمنا عليهم ما قصصناه عليك من أنواع الطيبات عقوبةً لهم، لجحودهم وعنادهم.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ . .﴾ نبهت الآية إلى أن تحريم بعض الطيبات على اليهود، ما كان من أصل شريعتهم، وإنما كان عقوبةً لهم، لانتهاكهم محارم الله، وتماديهم في الفجور والعصيان، كما قال سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ . .﴾ والتحريمُ كما يكون لدفع المضرة، يكون أيضاً للعقوبة، ولهذا قال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ظلموا أنفسهم، حين عرّضوها لعذاب الله، بمعاصيهم وعصيانهم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿جَهَالَةٍ﴾ ارتكبوا المنكرات والقبائح بسفهٍ وطيش ﴿ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا إلى ربهم بصدقٍ وندم، فالله يغفر لهم تلك الذنوب والسيئات ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ كان في شخصه كالأمة والجماعة الكثيرة، حيث كان جامعاً للكمالات الإنسانية، التي تفرّقتْ في الخلق، ولذلك اختاره الله ليكون له خليلاً ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ كان عبداً مطيعاً لربه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كان مؤمناً موحّداً، والآية ردٌّ على اليهود والنصارى في زعمهم أن إبراهيم كان على دينهم، وقد براه الله منها ﴿اجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه واختاره للرسالة ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ شريعته السمحة التي جاء بها خاتم المرسلين «بعثتُ بالحنيفية السمحة» ﴿جُعِلَ السَّبْتُ﴾ لم يكن تحريم العمل والصيد على اليهود من أصل الشريعة، وإنما جُعل عقوبة لهم، لعصيانهم أمر الله ﴿فِي ضَيْقٍ﴾ ضيق صدر بما يقوله السفهاء الجهلة ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ يدبرونه لك من الكيد والمكر، فالله ناصرك عليهم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ اللّٰهُ جلّ وعلا مع المؤمنين المتقين، بالعون والنصر، ومع المحسنين بالحفظ والرعاية.

سبب النزول: لمّا قُتل (حمزةُ) عمُّ الرسول ﷺ في غزوة أُحد، مثّل به المشركون تمثيلاً شنيعاً، فبقروا بطنه، وقلعوا عينه، واستخرجوا كبده فلاكوها، فلمّا رآه النبي ﷺ بهذه الصورة المفزعة قال: والله لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ..﴾ الآية، رواه البزار.